طباعة الكتب ووقفها عند الملك عبدالعزيز
دراسة تحليلية وقائمة ببليوجرافية

عبدالرحمن بن عبدالله الشقير / الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤هـ، ١٩٣ص

عرض ونقد: عبدالله بن محمد المنيف
مكتبة الملك فهد الوطنية

نهج الملك عبدالعزيز - رحمه الله تعالى- في مجال نشر الكتب نهجاً إسلامياً معروفاً، عرفه التاريخ الإسلامي منذ بداية اهتمام الخلفاء والسلاطين والأمراء بنشر العلم وتشجيع العلماء، فكان لنا في بعض خلفاء بني العباس أكبر مثل يدل على العناية بالعلم ونشره، فكان الخليفة يعهد إلى عالم من العلماء أن يكتب في أي فرع من فروع العلم المختلفة، ويتكفل بعد ذلك بمكافأة العالم، وتسهيل عملية إيجاد أكثر من نسخة من الكتاب بدعوة من يشتهر بالنسخ وجمال الخط إلى تكرار كتابة ما ألّف. وقد كان الملك عبدالعزيز ممن اتخذ هذا التقليد ببعد وفهم مختلف، فرحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة على ما قدم لخدمة العلم وأهله.

ويكفي من ذلك أن هذا الملك الصالح من توفيق الله له أن وفقه لنشر كتب مذهب الحنابلة نشراً لم يسبق إليه، بل إن هناك من أشار إلى أنه لولا توفيق الله ثم جهود الملك عبدالعزيز لم تقم لهذا المذهب قائمة، مع ما كان هناك من كتب مخطوطة له، إلاّ أن عملية الطباعة وما يلحق بها من تكاليف مادية، ثنت الناشرين عن المجازفة بطباعة كتب المذهب؛ لضعف المشترين، وقلة المهتمين. مع ما تتميز به كتبه الفقهية خاصة باليسر والسهولة، بل إن أحدها كالمغني يعد من كتب

الفقه المقارن إن صحت العبارة نتيجة ما يحمله هذا الكتاب من آراء فقهية عدة، وليست مذهبية محدودة أو ضيقة.

ويعد هذا الكتاب الذي نعرضه من أكمل الأعمال التي تناولت عناية الملك عبدالعزيز بطبع الكتب ووقفها. ومع أنه سبق أن تمت دراسات عدة أشار الباحث إليها في مقدمته، وكان من أهمها دراسة الدكتور فهد بن عبدالله السماري المعنونة بـ: مكتبة الملك عبدالعزيز الخاصة. إلاّ أنها كانت إما مقيدة وإما مخصصة، لهذا كانت هذه الدراسة في ظني من أشمل الدراسات التي تناولت هذا الموضوع .

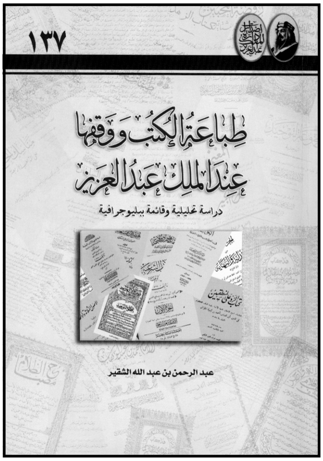
١٣٧
طباعة الكتب ووقفها عند الملك عبدالعزيز
دراسة تحليلية وقائمة ببليوجرافية
عبد الرحمن بن عبد الله الشقير

أما الكتاب فقد قسمه الباحث إلى ثلاثة أقسام، بعد مقدمة ضافية تعرّض فيها للدراسات السابقة له.

جاء القسم الأول منه تحت عنوان: الدراسة التحليلية: وقد تضمن هذا القسم عناوين جانبية:

أولها: منهج الملك عبدالعزيز في نشر الكتب، وقد أشار الباحث إلى أنه بعد الدراسة الببليوجرافية لما تم نشره تبين له أن: "منهج النشر عند الملك عبدالعزيز يتسم بمميزات شمولية ذات علاقة بالجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية داخل البلاد وخارجها، وله صلة مباشرة بالأوضاع السائدة في تلك الفترة". ثم ذكر أن عملية الطباعة عند الملك عبدالعزيز كانت قد مرت بثلاث مراحل: الأولى منها بدأت من ١٣١٩هـ، وانتهت في عام ١٣٣٧هـ، والثانية من عام ١٣٣٧هـ إلى عام ١٣٥١هـ، أما الثالثة والأخيرة فكانت من عام ١٣٥١هـ إلى وفاة الملك عبدالعزيز رحمه الله تعالى عام ١٣٧٣هـ.

ثانيها: أسباب ظهور بعض الكتب ومضمونها:

أشار الباحث إلى بعض الأسباب، ومنها الذب عن الدولة والدعوة التي نعتت بالدعوة الوهابية بهدف تنفير الناس منها، وبهذا نشطت كتب الردود ورد الشبهات التي ألصقت بالدولة السعودية، فكان التوجه أولاً إلى الهند التي كانت الطباعة فيها مزدهرة، إضافة إلى وجود تجار نجديين هناك فضلاً عن انتشار الدعوة السلفية فيها.

ثم استعرض الباحث بعض الكتب ومضامينها: فكان أول كتاب طبع هناك هو "الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية"، وكانت سنة طبعه ١٣٣٥هـ.

ثم تتابعت الكتب، ثم تناول الباحث بعد ذلك الكتب التي طبعت في مصر، وحلل مضامين بعضها، وكانت أول سنة تمت فيها الطباعة في مصر هي سنة ١٣٤٠هـ والكتاب هو "إرشاد الطالب إلى أهم المطالب". فكانت الطباعة في مصر تعد نقلة نوعية غير التي كانت في الهند، إضافة إلى أن الاهتمام هنا بدأ بالكتب الكبيرة، كالمغني والشرح الكبير وتفسير ابن كثير والبغوي وغيرها من الميزات التي أشار إليها الباحث في الصفحات (٥٥ - ٥٦). ولما ازدهر نشر الكتب فكرت المكتبة السلفية بمصر بفتح فرع لها في مكة المكرمة، وبذلك بدأت الطباعة في مكة المكرمة سنة ١٣٤٨هـ، وأول كتاب فيما يبدو هو "مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة".

أما القسم الثاني من الدراسة فكان تحت عنوان: الدراسة التطبيقية: طباعة كتاب المغني نموذجاً. تناول الباحث في هذا القسم قصة كتاب "المغني" وكيف طبع وأشياء كثيرة، ولي مع هذا الجزء من الكتاب وقفة سوف أذكرها في الملاحظات.

أما القسم الثالث فكان بعنوان: الدراسة الببليوجرافية.

وتضمن هذا القسم ثلاث قوائم مهمة جداً، وفق الباحث فيها جميعاً إلاّ أن القائمة الثالثة منها هي التي لفتت نظري كثيراً، وظهر بها جهد الباحث وتميزه.

فالقائمة الأولى بعنوان: الكتب المطبوعة على نفقة الملك عبدالعزيز الخاصة.

والقائمة الثانية: الكتب التي ساعد الملك عبدالعزيز على نشرها.

أما القائمة الثالثة فهي: الكتب المنسوبة إلى مطبوعات الملك عبدالعزيز.

وقبل أن يختم الباحث كتابه استعرض نتائج الدراسة، ثم جاءت قائمة المصادر والمراجع.

الملاحظات:

سوف أقسّم ملاحظاتي إلى عامة وخاصة؛ فأبدأ بالعامة، وهي:

١ - كنت أفضل أن يكون الكتاب قد طبع على نفقة وقف الملك عبدالعزيز، وليس على نفقة جهة أخرى؛ ليكتمل التميز ويناله الأجر كما سعى إلى ذلك في حياته رحمه الله تعالى.

٢ - الكتاب طبع غلافًا، مع أن الأولى أن يطبع مجلداً، لأنه من الكتب المرجعية المهمة، وتتكرر الاستفادة منه، وليس يقرأ مرة واحدة فلا يرجع إليه.

٣ - كتب عنوان الكتاب بخط اليد، أما اسم المؤلف فكان طباعة. فلو وُحد الأمر لكان أجمل.

٤ - خلو الكتاب من الكشافات العامة مع أهميتها، فحبذا أن تراعي الدارة ذلك في كتبها.

٥ – فات المؤلف ذكر كتابين من مطبوعات الملك عبدالعزيز، وهما:

أ – رجم أهل التحقيق والإيمان على مكفري صديق حسن خان، لسليمان بن سحمان، مطبعة المنار، القاهرة، ١٣٤٦هـ، ٤٨ ص.

ب – ذكرى الكشافة العراقية، مجموعة الخطب والقصائد التي ألقيت في أكثر حفلات التكريم التي أقيمت لها حين زيارتها للحجاز في حج عام ١٣٥٣هـ، عني بترتيبها ونشرها لجنة من الأدباء، مطبعة أم القرى، ٢٩ص(١).

٦– كما فات المؤلف أيضا ذكر كتابين ساعد الملك عبدالعزيز على طباعتها، وهما:

أ – فضل علم السلف على الخلف، لابن رجب الحنبلي. حيث ورد على الغلاف: طبع بأمر معتمد جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاته. طبع في إدارة الطباعة المنيرية لصاحبها محمد منير بن عبده آغا الدمشقي. عام ١٣٤٧هـ، ٥٨ ص، (ط٢).

ب – عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لأبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية. إذ ورد تحت اسم المؤلف هذه العبارة: "طبع بإذن خاص من وكالة جلالة ملك نجد والحجاز وملحقاتها بمصر"، ويطلب من مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، أما الطباعة فكانت في دار العصور للطبع والنشر بالقاهرة، ٢٥٤ص(٢).

٧ – جاء في الكلمة على الغلاف الأخير ما يأتي:

"من أبرز المظاهر الحضارية التي شهدتها جزيرة العرب في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجريين:

(١، ٢) أفادني بهذين الكتابين الأخ حمد بن عبدالله العنقري الباحث بمجلة الدارة.

ظاهرة طباعة الكتب على النفقة الخاصة ووقفها ...". وهذا الكلام من مقدمة المؤلف .

إلاّ أنني كنت أفضل أن يكتب على الغلاف الأخير هكذا :

"من أبرز المظاهر الحضارية التي شهدتها المملكة العربية السعودية، في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجريين، ظاهرة طباعة الكتب على النفقة الخاصة ووقفها ...".

لأن الكلام هنا عن الملك عبدالعزيز وطباعته للكتب في المملكة العربية السعودية التي أسسها بيده بعد عون الله تعالى له، لا الجزيرة العربية أو جزيرة العرب كما ذكر.

٨ – عدم إدراج غلاف الكتاب مصوراً أمام عنوانه في القوائم جميعاً، بل تحقق ذلك في بعض الكتب، ولم يتحقق في بعضها الآخر، إضافة إلى عدم وجود تعريف تحت صورة أغلفة الكتب في الغالب.

الملاحظات الخاصة:

في بطاقة الفهرسة لم يكتمل العنوان الشارح حيث سقط: وقائمة ببليوجرافية.

ص١٢ – هامش (١): كتبت أبي يعلى هكذا: يعلي. وهو خطأ طباعي.

ص١٣ س١٤: رحمه الله، كتب وحمه الله.

ص٢٣ س٢: أشار المؤلف إلى أن الدراسة انفردت بذكر خمسة كتب عن غيرها من الدراسات السابقة، وبتتبع الجدول الذي أورده في ص٢٠–٢٣ يظهر أن هناك تسعة كتب أشير إلى أن الدراسة انفردت بها .

ص ٣٥: ذكر الباحث هنا أنه اعتمد على فرمان عثماني. والصحيح أنه ليس فرمان، وإنما خطاب من قائممقام الصدارة إلى السلطان في طلب الإذن في إصدار فرمان استبدال لفظة سعود الوهابي بسعود الخارجي. كما أن الباحث لم يذكر رقم الوثيقة في الأرشيف العثماني وهو: (HH19614) ، واكتفى برقم الوثيقة في الدارة مع أهمية ذلك .

ص٤٦ س٤: جاء في عنوان كتاب ابن غنام: تعدد بدل تعداد، والأخير هو الصحيح.

وأشار المؤلف إلى أنه لم يرد على غلاف كتاب ابن غنام ما يدل على أن الملك عبدالعزيز طبعه مع وجود وثيقة تدل على ذلك.

إلاّ أن لدي نسخة من الكتاب نفسه، جاء في آخرها، عبارة بخط اليد، غير خط الكتاب هي: طبع على نفقة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، وقد تكون في النسخة التي عندي، وليست في كل النسخ أو في بعض النسخ دون غيرها.

ص٥٠: نقل الباحث عن الرفاعي أن الملك عبدالعزيز تأثر من الطريقة التي اتبعها ابن مرشد من إيراده لاسمه وإغفال اسم الناشر الحقيقي. وهذا استنتاج من الرفاعي ربما لا يكون صحيحا. فحبذا لو علق الباحث على ذلك؛ لأنه قد يكون هناك أسباب أخرى.

ص٥٤: ذكر الباحث أن الطباعة توقفت في الهند في عام ١٣٣٥هـ، مع أنه ذكر في ص٤٦ أن الطباعة في الهند كانت بين عامي ٣٦-١٣٣٧هـ! وفي ص ٦٧ يرجح الباحث أن جميعها طبع في عام ١٣٣٧هـ!

ص٥٦: ذكر من الأسماء عبدالحميد الخطيب ، وأرجح أن الاسم هو: محب الدين الخطيب.

ص٦٢: ذكر الباحث تزامن صدور كتاب : "الهدية السنية" لابن سحمان سنة ١٣٤٢هـ، مع اشتداد الحملة الإعلامية التي تبناها الشريف حسين تبعا لأغراض الدولة العثمانية في ظل سيطرة حزب الاتحاد والترقي . وهذا الأمر يحتاج لوقفات، هي :

أولا: الشريف حسين كان قد سبق هذا التاريخ بقيامه بإعلان الثورة على الدولة العثمانية في ٩ شعبان١٣٣٤هـ الموافق ١٠/٦/١٩١٦م تزامنا مع الحرب العالمية الأولى.

ثانيا: سقطت الدولة العثمانية فعليا في ٢٧ رجب ١٣٤٢هـ، الموافق ٣ مارس ١٩٢٤م، وهذا يعني عدم صحة الكلام السابق.

ثالثا: حزب الاتحاد والترقي حكم الدولة العثمانية من سنة ١٣٢٦ إلى سنة ١٣٣٧هـ الموافق ١٩٠٨-١٩١٨م.

ص١٠٥ س٩: أشار المؤلف إلى أن سقوط بغداد كان في ٦٠٦ هـ، والصحيح أنه في ٦٥٦هـ .

ص١٠٦ س١٣: ذكر اسم الشيخ عبدالله بن دهيش خطأ ، عبدالله الدهش، وهذا الخطأ لم ينتبه إليه المؤلف .

ص١٠٥: وهو الحديث عن كتاب "المغني".

فأضيف أن النسخ التي اعتمدت في طبع الكتاب كانت ضمن المكتبة السعودية أو مكتبة الإفتاء، التي انتقلت إلى مكتبة الملك فهد الوطنية، والأجزاء المعتمدة للطبع تقع تحت الأرقام من ٦١٤/ إفتاء إلى ٦٢٣/ إفتاء، ثم ٦٢٦/ إفتاء. أما الجزء الثاني عشر فرقمه ١٨/ شقراء.

كما يلحظ أن ج١١ ورقمه ٦٢٦/ إفتاء وهي نسخة قديمة جداً تعود إلى سنة ٨٥٣هـ .

أما باقي النسخ فقد تم نسخها بين عامي ١٣٣٨هـ و ١٣٤٠هـ. مما

يفهم منه أن التفكير في الطبع كان مبكراً، إذ رغب الملك عبدالعزيز في ذلك، وطلب من الشيخ عبدالله العنقري أن يكلف من يقوم على نسخه كاملاً من نسخ قد تكون خاصة أو في أماكن غير نجد.

كما أن هناك ملاحظة أخرى مهمة، وهي أن ما أشار إليه المؤلف من ذكره لأسماء نسّاخ تم تكليفهم بهذا العمل ينافي ما هو موجود فعلاً على النسخ الخطية؛ إذ يظهر أن من تم تكليفهم لم يباشروا العمل، وإنما الذي نسخ الكتاب هو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن ناصر، باستثناء النسخ القديمة.

ص١٤٨ س٦: أشار المؤلف إلى أن من ضمن الكتب التي ساعد الملك عبدالعزيز على طباعتها كتاب (عنوان المجد في تاريخ نجد) لعثمان بن بشر، بتحقيق سليمان الدخيل.

ولي على هذا الكلام ملاحظات:

أولاً: المطبوع هو مختصر الجزء الأول من عنوان المجد، وليس تحقيقاً.

ثانياً: لم يشر إلى المطبعة، وهي مطبعة الشابندر، وتقع نسختها في (١٤٢) صفحة.

ثالثاً: لم يشر إلى من عمل مع سليمان الدخيل، وهو الشيخ محمد ابن مانع؛ إذ لم ينشر باسم الدخيل فقط.

رابعاً: لم يشر المؤلف إلى مشاركة صاحبي المطبعة السلفية وهما محب الدين الخطيب وعبدالفتاح قتلان مع محمد نصيف في طبع عنوان المجد أيضاً، حيث ذكر محمد نصيف فقط.

ص٥٦ س١٥: فات المؤلف أن كتاب: "الروضة الندية في شرح الدرر البهية" للقنوجي، طبع أيضاً في الهند سنة ١٢٩٠/١٨٧٣م في جزأين في المطبعة العلوية ولكنهؤ.

كما سقطت: كلمة (في) التي تسبق كلمة (شرح) حيث جاء عنده: (الروضة الندية شرح الدرر البهية).

مميزات الكتاب:

١ - أنه الدراسة الوحيدة وشبه المتكاملة حول الموضوع.

٢- تنبيه الباحث ص ٤٤ إلى خطأ وقع فيه كثير من الباحثين، إضافة إلى الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، حيث خلطوا بين كتابين متشابهين هما: الأول: مجموعة التوحيد. والثاني: مجموعة التوحيد النجدية.

واختلافهما في المحتوى ظاهر، فالأول فيه من غير علماء نجد الكثير. أما الثاني فخاص بعلماء نجد فقط.

٣ - وجود قائمة مهمة عن الكتب المنسوبة للملك عبدالعزيز، كما أنها نبهت إلى أن هناك كتبًا طبعت وللأسف الشديد ضمن الأمانة العامة للاحتفال بمئوية المملكة، وأشير فيها إلى أنها من مطبوعات الملك عبدالعزيز متابعة لبعض الباحثين، وهي ليست من مطبوعاته: مثل كتاب "الإقناع" ص١٥٣.

٤ - إشارة المؤلف إلى الخطاب العثماني الذي نعت الدعوة بالخوارج بدلاً من الوهابية، ويحمد للباحث أنه أول من أشار إليه. مع أنني كنت أفضل لو نشرت صورة ذلك الخطاب كما نشر غيره من وثائق.

٥ - الإخراج الداخلي للكتاب جميل جداً.

٦ - الوثائق التي جاءت في الكتاب كانت داعمة للمادة دعما مباشرا ودقيقا.